

التوازن الاستراتيجي بين القاعدة وأمريكا (الحلقة الرابعة)

نيوز أرشيف : في هذه الحلقة ، نعالج جانباً هاماً من فكرة التوازن الاستراتيجي ، ألا وهو جانب التأييد السياسي والشعبي الذي يلقاه طرفا الصراع في العالم ، بما يؤثر على التوازن الاستراتيجي العام بمعناه الواسع والعام الذي أشرنا إليه من قبل في هذا النوع من الصراعات الذي لا يقتصر حساب موازين القوى فيها على حجم القدرة العسكرية التقليدية بين الطرفين .

في جانب الولايات المتحدة ، فإن الدعم السياسي والشعبي لها في حربها الجارية ، وفي مناطق الصراع هو في أسوأ حالاته ، بعدما باتت منغمسة في صراعات منتشرة في كافة أنحاء الدنيا ، وحيث يتزايد خصومها وأعداؤها وتتنوع لغاتهم وأجناسهم .

ويمكن التمييز هنا بين ما يؤثر على قوتها في المواجهة الراهنة ؛ بشكل مباشر وبين ما هو ذو تأثير بشكل غير مباشر . في جانب الدعم السياسي المباشر ، فإن الولايات المتحدة تلقى دعماً مباشراً واسعاً من الحكومات في مواجهة القاعدة في الجوانب الأمنية والعسكرية، أو بمعنى أدق فإن ضغوط الولايات المتحدة على عدد كبير من الحكومات ، قد جعل الكثير منها يساير خطة الولايات المتحدة في حربها ضد القاعدة . وكذلك فإن هناك دولاً أخرى ذات مصلحة في الحرب ضد القاعدة ، مثل روسيا التي تتهم القاعدة بالمشاركة في حرب الشيشان ، والهند التي تتهم القاعدة بالمشاركة في الحرب الدائرة في كشمير ... الخ .

لكن إذا كانت الولايات المتحدة ، قد سعت إلى تحويل استراتيجيتها في الصراع ضد القاعدة إلى استراتيجية كونية ، فإنها بالفعل لم تنجح في ذلك ، حيث فهمت القوى الدولية المنافسة حدود توافقها على الموقف من القاعدة ، ولم تغلبه على الخلافات الاستراتيجية مع الولايات المتحدة ، أما الدول التي ضغطت عليها الولايات المتحدة " ضغطاً " للمشاركة في حربها للقاعدة ، فسرعان ما تغلقت أو مارست قدراً واسعاً من عمليات مواجهة الضغوط ، سواء بالسماح بقدر من الحرية للحركات الشعبية ، لتظهر مواقف شعوبها المعادية للولايات المتحدة ، أو المتعاطفة مع القاعدة .. ويمكن هنا الإشارة إلى ان الولايات المتحدة على عكس عدوانها على العراق في عام 1991 ، لم تتمكن من حشد العالم معها في حربها ضد القاعدة ، أو للعدوان على أفغانستان .

ويمكن القول كذلك أن شرعية النظم التي تخالفت أو التي استكانت للولايات المتحدة في الدول العربية والإسلامية ، قد

تعرضت للاهتزاز وبالنظر لنتائج التدخل ، والفشل الأمريكي في القبض أو اغتيال قادة القاعدة ، وبالنظر إلى اكتشاف العالم يوماً بعد يوم الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة في الانفراد بالعالم وإدارة الصراعات لمصلحتها الاستراتيجية ، فإن حجم المعاونة لها في الحرب ، بات متراجعاً يوماً بعد يوم . أما الجانب غير المباشر ، الذي يؤثر على كل من الولايات المتحدة والقاعدة ، ألا وهو الموقف الشعبي والجماهيري ومواقف القوى والنخب السياسية فإنه في المنطقة العربية والإسلامية جاء ويظل لصالح القاعدة حيث باتت جماهير الشعوب ترى الولايات المتحدة عدواً لها عند قطاعات منها ، وخصماً لها عند قطاعات أخرى ، وليست على صواب بين قطاع ثالث .

وهذا العامل ، إذا كان ليس مؤثراً بصفة مباشرة ، ولا بحسب حسابه بصفة رئيسية في موازين القوة وفي الفهم التقليدي لموازن القوى ، فإن في هذا النمط من الحروب، وفي هذا الفهم لمثل هذه العمليات العسكرية والتوازنات يمثل بعداً هاماً جداً في الصراع ، حيث إن التأييد الشعبي في هذه الحالة يخرج عن المفاهيم " المبسطة " و " التقليدية " ، أي فكرة قياسات الرأي العام ، ومدى تأثيرها على القرار السياسي ، إلى فكرة أكثر أهمية ، حيث أن المسألة الجوهرية في تأييد أو دعم الحركات التي هي مثل القاعدة ، إنما يمثل جانباً هاماً من جوانب التوازن الاستراتيجي ، باعتباره يمثل دعماً مباشراً لها عن المستوى السياسي والمعنوي واللوجيستيكي والمالي ، وكذلك باعتبار أن جماهير الشعوب هي التي ترفد مثل هذه المنظمات بالرجال طوال الوقت ، بشكل طوعي . ويلاحظ هنا ، أن جانباً كبيراً من الحركات السياسية العربية والإسلامية ، بات مؤيداً للقاعدة على الأقل انطلاقاً من " رفض المواقف الأمريكية " أو لمواجهة الظلم الأمريكي في فلسطين والعراق والسودان ... الخ .